

Aspirations pour une meilleure collaboration entre laïcs et consacrés dans un établissement catholique

تطلّعات من أجل تعاون أفضل بين العلمانيين والمكرّسين في المؤسسة الكاثوليكية

الأخت رولا عكر

٤ أيلول ٢٠١٩

مقدمة:

إننا نتناول هذا الموضوع " تطلّعات من أجل تعاون أفضل بين العلمانيين والمكرّسين في المؤسسة الكاثوليكية" إنطلاقاً من الدراسة التي قمنا بها والحاملة عنوان "الراهبة المديرة أم المديرة الراهبة: واقع ومرتجى" والتي تضمّنت استبياناً لـ ١١٨ أستاذ ومقابلة مع ٦ راهبات، وانطلاقاً أيضاً من خبرتنا في إدارة القسم، الأمر الذي يضعنا في تعاطٍ دائمٍ مع العلمانيين.

ذكّر قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، في إرشاده الرسوليّ حول الحياة الرهبانية، بأنّ التربية هي عنصرٌ أساسيٌّ من عناصر رسالة الكنيسة التي يلعب فيها الروح القدس دور المعلم الداخليّ. إنّ دفع الروح القدس جوهريةً جداً بما يخصّ المهمة التربوية، إلا أنّ هناك دوراً خاصاً في الكنيسة للأشخاص المكرّسين المدعوّين لأن يدخلوا في مجال التربية شهادتهم للملكوت. بإمكان الأشخاص المكرّسين أن يقوموا بنشاطٍ تربويّ فعّالٍ، ويؤدّوا مساهمةً مميزةً في مساعي غيرهم من المربيّات والمربيّين وذلك عبر تکرّسهم الخاص، خبرتهم لعطايا الروح، مواظبتهم على الاستماع لكلمة الله، ممارسة التمييز ومعرفتهم العميقة للشؤون الروحية. كلّ هذا سيساعد الشباب على النموّ الإنسانيّ بقيادة الروح فتصبح الأسرة التربوية مختبر شركةٍ ومحطّ نعمةٍ تساهم فيها الخطة التربوية في التوفيق بين ما هو إلهيٌّ وما هو بشريٌّ. والدليل على ذلك أنّ تاريخ الكنيسة يشهد نماذج رائعةً من أشخاصٍ مكرّسين بلغوا كمال المحبة وأدركوا القداسة بصفاتهم مربيّين، تلك أئمن هديةً تأخذها الشبيبة من الأشخاص المكرّسين من خلال خدمةٍ تربويةٍ مفعمةٍ بالحبّ.

وقد ورد في مؤتمر المدارس الكاثوليكية سنة ٢٠١١ في غزير " إنّ المدرسة الكاثوليكية لا تنشئ رجال علمٍ فقط، بل رجال روحٍ إيمانيّ ورجال روحٍ إنسانيّ. وإذا أهملت المدرسة بعداً واحداً من هذه الثلاثية، أنتجت أشخاصاً مشوّهين، غير ناضجين، وغير مؤهلين، كما يقول المجمع المسكوني، لأن يكونوا "ضمير خلاصٍ للبشرية" وتكون المدرسة الكاثوليكية قد تخلّت عن رسالتها".

أمام هذه الرسالة الكبيرة لا بدّ من تضافر جهود كافة الأطراف للوصول إلى الغاية المنشودة. أمام هذه المهمة لا بدّ من أن تتحدّ العائلة التربوية بمن فيها: إداريين- معلّمين - مكرّسين، حول الهدف الواحد، الرؤية الواحدة والرسالة الواحدة، من أجل خير التلاميذ الذين أوتمنا عليهم. هذه الشراكة كانت ولا تزال الهمّ والشغل الشاغل في المدارس الكاثوليكية والدليل على ذلك ثبات هذه المدارس إذ كل مملكةٍ تنقسم على نفسها تقع.

في الواقع:

- جميع مؤسساتنا الرهبانية، مدارس وغيرها، أنشأناها كامتداد لرسالة الرهبنة ولأننا آمناء، في لحظةٍ ما، أننا نستطيع إيصال المسيح من خلالها وإلا لما كنا أنشأناها، غير ذلك هناك مشكلة من الأساس. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل لا زالت هذه المؤسسات تعكس الرسالة التي من أجلها أنشئت؟ أو بالأحرى، هل لا زال لدينا الهمّ أن

تكون مؤسساتنا مركز رسالة؟ سنجيب نعم. فإدًا كيف؟ حتى يكون جوابنا عمليًا وليس نظريًا. هل أصبح هناك فجوة بين "ما هو كائنٌ" و "ما يجب أن يكون"؟ لن أجيب على هذا السؤال لأنّ الجواب يبقى لضمير كلِّ منا لكن إذا فقدت مؤسساتنا هذا المبدأ لم يعد لها معنى. اليوم نسمع، حتى بين صفوف المكرّسين، "الإدارة مش إلنا" ، "صارت المدارس مجرد مؤسسات". فلماذا هذا التناقض؟

- لكي تتمّ هذه الرسالة الروحية والتربوية التي تحدّثنا عنها لا بدّ من جوّ سلام، إذ حيث الله هناك السلام. في بحثنا العلميّ حول موضوع "الراهبة المديرة أم المديرة الراهبة: واقع ومرتجى" (٢٠١٨) يظهر وجهٌ إيجابيّ من التعاطي بين المكرّسين والعلمانيين. ففي الإستبيان الذي وُجّه إلى ١١٨ أستاذًا ومعلمةً حول علاقتهم بالراهبة المسؤولة عن قسمهم أتت النتائج التالية:

يلفتهم الوجه الرهبانيّ لدى الراهبة أكثر من الوجه الإداري	٤٣.٣%
يجدون غالبًا آذانًا صاغية من قبل الراهبة	٧٧.٥%
يرون أنّ الراهبة قادرة غالبًا على العدل بين جميع الأساتذة	٨٠.٧%
من كامل العينة يتكلمون غالبًا بصراحة وحرية مع الراهبة المسؤولة في حال نشوب أي خلاف مع الزملاء	٧٧.٢%
من كامل العينة يستشفون رسالة الرهينة من خلال التعامل مع الراهبة المسؤولة عن القسم	٨٦.٤٤%
من كامل العينة كانت لديهم خبرة سابقة مع مسؤول علمانيّ	٧٥.٦٣%
منهم يجدون دائمًا أو أحيانًا فرقًا بين المسؤول العلمانيّ والمسؤول المكرّس	٩٠.١١%
منهم يلتصقون الوجه الروحانيّ والإنسانيّ أكثر عند الراهبة	٦٥.٥٦%
مقابل يرى أنّ العلمانيّ أكثر تفهّمًا وقرّبًا.	٦.٦٧%

من هنا نرى أنّ النتائج تصبّ في شكلٍ إيجابيّ لا بل إيجابيّ جدًا في العلاقة التي تجمع الراهبة بالعلمانيين في القسم. مما يؤكّد لنا أنّ الإدارة تستطيع أن تكون حقل شهادةٍ بامتياز إذا ما اقترنت بروح إنسانيّة ورهبانيّة.

- بالمقابل:

نادرًا أو أحيانًا ما يتشاركون الأحاديث الروحية مع الراهبة مسؤولة القسم	٨٤.٢%
نادرًا أو أحيانًا ما يطلبون مشورة الراهبة لحل المشاكل الشخصية	٩٠.٨٣%
من كامل العينة كانوا سيشاركونها مشاكلهم لو كانوا يعرفونها خارج الإطار المهنيّ	٧٩.١٧%
من الراهبات يجدن أنّ التكامل بين الدور المزدوج الإداري والرهبانيّ صعبٌ وأنّ الناس يحبون هذا التكامل لكن عمليًا هو صعبٌ لأنّ إيجاد هذا التوازن بين الدورين "يستنزفها"	٦٦.٦٦%
من الراهبات يجدن أنّ الموقع الإداري يشكّل عائقًا أما انفتاح العلمانيين عليها والشبيبة تفضّل الراهبة التي تعلمّ التعليم المسيحيّ أو الموسيقى وترافقهم في المخيمات.	٥٠%
يواجهن معارضة من قبل الأساتذة في حال إجراء أي تغيير في القسم. وكانت الأسباب أنهم يريدون البقاء على ما يعرفون خاصةً إذا كان التغيير يمسّ بوقتهم أو راحتهم ولأنّ التغيير عادةً يهدّد الهوية.	٦٧%

- في المقابلات التي جرت مع الراهبات كان هناك إجماعٌ بينهنّ حول أنّ العلمانيين ينتظرون رؤية البعد الإنسانيّ لدى الراهبة كالتفهم، اللطف، الإصغاء، الإلتزام، العدل، عدم المزاجيّة، الليونة في التغيير والموازنة بين القانون والإنسانيّة، هذه الموازنة التي "تخلق عبئًا" على حدّ قول راهبة منهنّ.

- جميع الراهبات تحدّثن عن صعوبة إيجاد الوقت الكافي للصلاة الفرديّة بسبب كثرة الإنشغالات فإما لا يصلين وإما "يسرقن الوقت" (هنا إلا بد من الإشارة إلى أهمية هذا الوقت كي يبقى إشعاع الرسالة و الشهادة ولا تطفئها ال burn out)

إدًا هناك في بعض الأحيان واقع متعبٌ يمنع علاقة التعاون المهنيّة بين المكرّسة والعلمانيّين من أن تبلغ غايتها.

الأسباب التي قد تفوّد إلى تعكير العلاقة:

- في كثيرٍ من الأوقات لا يستند تعيين مكرّس ما في موقع تربويّ إداريّ إلى كفاءاته المتوقّرة لديه للقيام بهذه المهمة بل، ومع نقص الدعوات المتزايد، يُعيّن المكرّس في الإدارة، أحيانًا، نظرًا إلى شغور "هذا المقعد" والحاجة إلى تعبئته. يؤسفنا الإقرار أنّه، في بعض الحالات، يكون الثوب الرهبانيّ هو السّلّم الوحيد الذي أوصل المكرّس إلى أعلى درجات إدارة المدرسة.

- عدم التنشئة والتخصّص أحيانًا بالأمر الإداري يخلق نوعًا من التوتّر لدى المكرّس ولكي يحلّ هذه الأزمة إمّا أن يقلّد الموجود، أو يتّخذ الشخصية الصلبة العنيدة المتسلّطة لإخفاء ضعفه أو يمحّي ويسمح أن يسيّره الآخرون.

- نظرة العلمانيّين للمكرّس، تلك النظرة التي تؤلّهبه وتجعل منه قديسًا ومصدر عجائب فوق طبيعته البشريّة الضعيفة. إنّ العلمانيّين غالبًا ما يتوجّهون إلى المكرّس قاصدين أن يجدوا عنده الدواء لجميع العلل متناسين أنّه قبل كلّ شيء إنسانٌ لديه بدوره صعوباته الشخصيّة، الجماعيّة، النفسيّة والجسديّة. هذا السقف العالي من المتطلّبات والانتظارات أحيانًا يتحوّل إلى مصدر خيبة أملٍ عند العلمانيّين وتسؤلٍ ضميريّ عند المكرّس لمعرفة مكان المشكلة: شخصه أم تصوّرات الآخر العالية المواصفات؟

- عدم وضوح مفهوم السلطة: كلّ تجمّع مهنيّ يضمّ عددًا من الأشخاص المتوجّهين نحو هدفٍ مشتركٍ يحتاج إلى نوع من السلطة تدير أموره وتتخذ فيه القرارات. هذه السلطة تسهر على تماسك الفريق ومسيرته نحو الهدف لأنّ الفرد لا يستطيع دومًا أن يوجّه طاقاته نحو تحقيق النهايات المقترحة من قبل الفريق دون وجود سلطة. إدًا المشكلة ليست السلطة إمّا بطريقة قراءة هذه السلطة. كلّ التعامل يختلف إن كنت أرى بالسلطة طريقًا لتحقيق ذاتي ومآربي أو كنت أراها خدمةً وفرصةً لنمو الآخر.

- الخلط بين مفهوم العمل ومفهوم الشهادة: هناك ميلٌ لمرادفة كلمة "شهادة" بكلمة "عمل" مع أنّ هاتين العبارتين لا تشكّلان عنصري معادلة. حتى وإن كان لا بدّ للعمل من أن يدخل في تعريف الشهادة إلاّ أنّه لا يكفي لشرحها، فالتفتيش الزائد عن الفعاليّة الذي نشهده اليوم لا يقود بالضرورة إلى الشهادة وحتى إنّه يستطيع أن يعارضها. في كتابها *Le témoignage de la religieuse active*، تقول الأخت مارت سان بيار (١٩٦٩) أنّ الشهادة الحقّة، بالنسبة إليها، تأتي كنوعٍ من الترجمة لما يبغى الفرد أن يكونه أو كنتيجةٍ تلقائيّةٍ لكثرة الإحتكاك بمثالٍ أو قضيةٍ ما. فهذه الوحدة مع القضية أو المثال تبدّل الفرد وتؤثّر فيه في أعماق كيانه مجريّةً عليه تغييراتٍ دائمة. القديس يوحنا بولس الثاني (١٩٨٠) أنّ ما يهمّ ليس ما يقوم به المكرّسون، بل ما هم عليه بالحقيقة كأشخاصٍ مكرّسين للرب. هذا يلتقي مع ما قاله الأب لوسيان دو ماري دو سان جوزيف (١٩٦٤) في كتابه الحامل عنوان *Le mystère du Christ pauvre* إنّه لمن غير المجدي لا بل إنّه مضرٌّ أن نرغب بالشهادة أوّلاً. ففي الرغبة الجامحة في الشهادة، مهما كان الثمن، قد يوجد ضعفٌ كامنٌ يحاول الإختباء وراء مظاهر الشهادة. هذا ما يفسّر عقم العديد من الشهود، أصحاب الرغبة الطيّبة بدون شكّ، لكن المفتقدين إلى الجوهريّ. قبل أن نشهد علينا أن نكون.

اقتراحات للحلول وتطلّعات جديدة:

- من ناحية العلمانيين:

- التطوّر المهنيّ المستمرّ والتنشئة المستدامة التي لا تطال فقط مجال العمل ولكن أيضاً تطال الشخصية كـ *développement personnel*
- التعلّق في توقعاتهم من المكرّسين
- رؤية الأمور الإيجابية وعدم التوقّف فقط عند الضعف

- من ناحية المكرّسين:

- وضع خطة للتنشئة الرهبانية تطال جميع أبعاد الراهبة الفكرية والجسدية والنفسية والروحية والاجتماعية والجنسية لأنّ الراهبة شخصٌ مكرّسٌ بكلّ أبعاده.
- عدم القبول بتسليم راهبة أية إدارة قبل أن تكون قد حصلت على تنشئة حول أسس الإدارة المدرسية والقيادة لنقيها خطر الانزلاق في اتباع نماذج خاطئة أو حلّ المشاكل بطريقة عشوائية.
- الحفاظ على التنشئة المستدامة ومتابعة كلّ جديد إن على الصعيد الإداري، أو على الصعيد الرهبانيّ أو على الصعيدين معاً.
- عدم تسليم أيّ راهبة إدارة قبل أن تمارس أعمالاً رعوياً تجعلها قريبة من حاجات الناس، وقبل أن تعلّم في الصفوف وتعرف كيف تتمّ العملية التربوية.

- ضرورة القيام بدوراتٍ حول مفهوم السلطة *The servant leadership*

- العمل داخل المدرسة الواحدة على توحيد الأنظمة وتطوير برنامج السلوك لكي لا تتغيّر المبادئ السلوكية بين قسمٍ وآخر فتضطر الراهبة للعب دورٍ جازمٍ بهدف ضبط الأمور.
- وضع خطةٍ تمهّد لتسليم العلمانيين جزءاً من المسؤوليات الإدارية والتربوية، لأنّ الكمّ الهائل من العمل الموكول إلى راهبةٍ واحدةٍ، بسبب نقص الدعوات، يشكّل عبئاً عليها ويمنعها من التركيز على الهدف الرئيسيّ لحياتها ويضعها في خطر التحوّل إلى موظّفة.

خاتمة:

إذا أمنا جميعاً أننا موجودون هنا والآن لنحقق مشيئة الله الأب كما قال يسوع "طعامي أن أعمل بمشيئة من أرسلني" (يو ٤ / ٣٤) وعرفنا، على مثاله، كيف نستخدم سلطتنا لأننا نعرف أننا مرسلين ومؤمنين على رسالة يريدنا الأب منا، هل سنبقى نتحدّث عن تعاونٍ بين علمانيين ومكرّسين كمن يتحدّث عن طرفين؟ أم سنحوّل للحديث عن فريقٍ واحدٍ يسير نحو الغاية الواحدة؟

المراجع:

- Jean Paul II. (1996). *La vie consacrée et sa mission dans le monde*. Paris: Pierre Téqui, éditeur.
- Lucien-Marie de St Joseph, OCD. (1964). *Le mystère du Christ pauvre*. Bruges : Desclée de Brower.
- Monseigneur Matar, B. (2011, Septembre). « *La direction dans une école catholique : Mission et métiers* ». Le XVIII colloque annuel du SGEC-L. Ghazir-Liban
- Saint- Pierre M. (1969). *Le témoignage de la religieuse active*. Montréal : Editions Paulines.
- الأخت عكر، ر. (٢٠١٨). *الراهبة المدبرة أم المدبرة الراهبة: واقع ومرتجى*. جامعة الروح القدس – الكسليك. لبنان.